قصة « الحديث »

الفاتحة

للروائي التركي الشهير ارجنداكرم

كانت سنة ١٣٢١ رومية.

كنت ذاهباً للتفتيش في ولاية (اشقودره) . وكان المنتظر ان انزل من الباخرة الفرنسية التي اقلتني من (استانبول) ، في (بيره) ، وان تقلني بعد ذلك باخرة صغيرة من البواخر اليونانية الى (دراج) .

أو غلنا فى (مرمره). وكان الجو صافياً ، وقلب الباخرة خالياً . ولم تكن لي رابطة باكثر من ثلاثة أو خمسة مسافرين اجتمعوا في بهو الدرجة الأولى . رجحت على الاجتماع بهم الخروج الى سطح الباخرة ، ومقابلة الوجوه والسحنات الغريبة ، ففعلت . واقتعدت مقعداً طويلاً ارسل النظرات منه الى آفاق البحر البعيدة ، واشعة الشمس تتكسر على صفحته فتبدل لونه .

وأذ آذنت الشمس بالمغيب تلاشت من امامي سواحل (الروم ايلي) الدقيقة كانها الخيط ممدوداً في الافق . ثم شعرت ببرودة الهواء فرأيتني مضطراً الى مغادرة مكاني .

ولكنني لم استطع المكث في غرفتي ، فقد كانت تفعمها رائحة (السينتينه) القوية التي هيجت اعصابي منذ ان غادرت استانبول .

فهمت انني غير متمكن من النوم او قضاء الوقت فيها ، فعدت الى الخارج ميمماً مجتمع المسافرين . وكانوا غير قليلين . ترى ذوى العائلات

منهم جماعات جماعات يلهون ، وآخرين تضمهم حلقات صغيرة من احبتهم يتسامرون .

وكان سرور هذه الجماعات الصغيرة ونشاطها دليلان على ان قلوب ابناء الطبقة الدنيا اكثر فراغاً من قلوب ابناء الطبقات الاخرى.

وكان البعيد عن هذا المحيط المفعم مسرة وطمأنينة ، رجلاً واحداً . وكان هذا الرجل الدالة ثيابه ونظراته القوية على انه من (اليمان) الشمال . متكئاً على الحاجز في مؤخرة القوم . يمتص الدخان من سيغارته باتصال وانهماك .

نظرت اليه فاذا بعينيه تنطقان بالانفعال والاضطراب والمعانى الوحشية كذلك .

بقيت هنالك ساعة تقريباً ، فبقيت هيأة هذا الرجل طول هذه الساعة ساكنة لم تتغير . وكان يظهر لي انه يرسل النظرات الحائرة الى نقطة في الافق مجهولة . فلم اشك فى انه كان يتعقب شبحاً أوخيالاً .

واعتكر الليل . فرقد الركب ، بعد ان تلاشت قهقهاتهم . فذهبت لأنام .

* * *

واسفر الصبح . فرأيته اذ كنت اتجول على السطح قبيل تناول الفطور في هيأته الاولى . لكن بياض عينيه قد استحال دماً . ونظراته المتعبة ينبعث منها كالدخان .

الآن احسست ان للرجل مأساة . فدفعني حب الاستطلاع الى ان اقترب منه .

قلت : — يبدولي ان ركوب البحر يؤذيك و يسلب راحتك ويظهر انك لم تنم .

قابلني بوجهه الجهم وهو يقول :

— كلا فالبحر لا يمسنى منه اذي .

— لك ان تصحبني الى غرفتى اذا شئت فتستريح .

— هنا خير .

بيد ان دعوتي اثرت فيه . فابتسم لي ابتسامة مبهمة ، ثم ناولني دفتر سغائره . وانشأت اسأله وانا اصنع سغارة :

— من اى بلد أنت ؟

فذكر لي اسم قرية من قرى (اشقودره) .

— احسبك قادما من استانبول ؟

— بلى .

— أذهبت اليها في تجارة ؟

فلم يجب . وتراءى لي من عينيه الحمراوين بريق . وعلت وجهه ظاهرة ألم دفين . اراد ان يخفيها فاشاحه عني .

قلت :

— استودعك الله ،فاني لشاعر بالبرد .

وتركته منفرداً بالمه الخفي . وهو صامت لا يجيب .

كانت الباخرة التي انتقلت اليها في (بيرة) باخرة يونانيـــة صغيرة ، ارتقيتها على عجل . فحجزت لي من غرفها الاربعة واحدة .

واقلعت متجهة بنا الى الجنوب ، يحيط بها الهواء الفاسى ببرده . وكانت

الامواج تهز باخرتنا كالارجوحة ، حتى وصلنـا الى قناة (كورنت) . ولم نكد نستقبل بحر الادرياتيك الا واشتدت فجأة في هياجها العظيم .

وكان ركب الباخرة كالسكارى من الدوار . لا ترى منهم احداً غير قابع فى زاوية او ناحية من الباخرة مشغول بنفسه . ولم اكن اغادر مضجعى ولو انني استطعت خروجا لما استطعت وقوفا على قدمى . وكان يصل الي الدوي المخوف ، دوي المياه المرتفعة من الموج فترتطم بالسطح يصحبها صوت ضربات سلسلة الحديد . وكنت — كذلك — اسمع بين الموجة والموجة ، صوت صرير الحبال التي تربط العمد . واستمر ذلك حتى اقبل الليل . ثم سكن البحر قليلا . فخرجت استنشق النسيم ، اعالج به الدوار الذي كادت تنفجر من شدة المه رأسى .

وكان منظر البحر والسماء جميلا ، وموحشاً . والليلة مقمرة . والقمر الذي يبدو من بين الغيوم الكثيفة السوداء المتتالية فى جريها ، ينير وجه الدأماء فتحسب المياه نقطاً وخطوطاً من الابريز . وكنت انظر الى هذا الشعر الطبيعى — من محلي — بلذة عميقة .

وكانت الباخرة خفيفة في سيرها فوق سطح الادرياتيك المذهب . كنت متكئاً على السارية في شئ من الذهول .

ثم ظهر امامي شبح . فنظرت فاذا بصاحبي الالبانى . وكأنه خرج من بطن الارض تلك الساعة ، فقابلته مرة اخرى .

لم يرني . ومشى بخطوات متثاقلة حتى اقترب من حاجز الباخرة ، ثم وقف . توقعت ان يلقى نفسه في البحر لكن قوة مجهولة ربطتنى بالارض فلم استطع ان اسرع اليه ، انقذه . وظلت انظر الى حركاته فى دهشة وسكون.

تقدم ، فادركت من نظراته القلقة الحائرة واضطرابه انه يبحث عن موضوع من البحر . وكان يبدو من الجهة اليمنى (فنار) يضيء ثم ينطفيء ثم يضيء . فلما ان اقتربت الباخرة وحاذته ، انحنى ، ورفع يديه كما يرفعها المصلي عند الدعاء . فقرأ شيئاً . ثم عاد .

وشعرت وهو يمر بي بالميل الى مسآءلته مرة ثانية .

قلت : — مرحباً .

فوقف وقال : — عليكم السلام !

— ما اغرب هذه المصادفة فقد تلاقينا كذلك .

— كذلك كان . وهل انت راحل الى (دراج) .

ولم يكن عابساً ذا اسرار هذه المرة . بل ظننت انه محتاج الى محاورتي والافضاء الي بما يؤلمه .

مددت اليه علبة سغائري . فاقترب مني . فسألته :

أكنت تشكر الله على نجاتنا من زوابع البحر وهياجه ؟

تنفس الصعداء . ورأيت ، على ضوء القمر ، عينيه تدمعان .

تردد لحظة . ثم قال :

— كلا . لكنني قرأت الفاتحة .

— الفاتحة ؟ على روح من ؟

— أبنتي . ومرقدها تلك الناحية التي مررنا بها قبل دقائق . وهنا تفتح . فلم يعد يلتفت الى سؤال مني ، فانشأ يتحدث الي في تهيج محسوس

— سيدي . انا البانى ، بلغت الخمسين من العمر . اعد في بلادي من الاشراف . وكان ابي يلقب بالاسد لانه رأس عصابة تتألف من عشرين رجلا من عشيرتنا ، فعارك الجبلين (في حرب الجبل الاسود) ثلاثة اشهر دفاعاً عن القرية . فانا ابن ذلك الاسد الضرغام . امى لا اقرأ

ولا اكتب . ربيت في كنف اجدادي وآبائي . وقد اوصاني ابي الذي قتلته رصاصة من يد نذل بثلاث وصايا : ان اثأر له ، وان اكره الجبليين مادمت حياً ، وان اجعل عرضي وشرفي فوق كل شيء .

وقد ثأرت له ولله الحمد ، وانا انتهز الفرص الآن لأري الجبليين مباغ كرهي لهم . . .

ثم قطع حديثه . ومضى يصنع سغارة له . منتظراً ان يخف هياجه .

اردت ان لا ينقطع عن قصته فسألته :

— بلى . وبعد ؟

قال : — ثم عملت بوصيته الثالثة قبل خمسة عشر يوماً .

— كيف كان ذلك ؟

— كان لي ابنة فى الخامسة عشر من عمرها . وهي الوحيدة . وكانت بيضاء كالثلج في اعالي الجبال ، حمراء كالورد في الصحراء ، رقيقة ، ذات شجاعة كالرجل . تصيب البيضة برصاص البندقية على بعد (١٠٠) خطوة ولو لم اكن قد ثأرت لجدها لثأرت له هى نفسها .

وقد مرضت يوماً ، فلم يشفها ما عالجناها به من علاج بلادنا . فرأيت ان آتي بها استانبول . وفي الليلة الاولى من سفرنا ، القيتها تبكي . قلت : ما ذا جرى لك يا ابنتى . فاضت الي بسر ألمها . وكان قد دنسها نذل مجاور لنا .

وما اتمت اعترافها الا وشعرت الم الطعنة النجلاء اصابتنى كالرصاصة

وانحبس لساني . ثم ذكرت وصية ابي . فقلت لها : لي يا ابنتي فلي معك حديث .

ثم خرجنا من غرفة الباخرة ، حتى اشرفنا على البحر . ونظرت فما كان احد قريباً منا . فأريتها البحر دون ان افوه بكلمة . فادركت ما اردت . وقالت « عفوك يا ابي » ثم القيتها في البحر أ فهمت يا سيدي ؟

وها انا ذا اتلو الفاتحة على روحها ، وقد مررت بمثواها . واني لوالدها مهما كان امرها .

تعريب محمود احمد

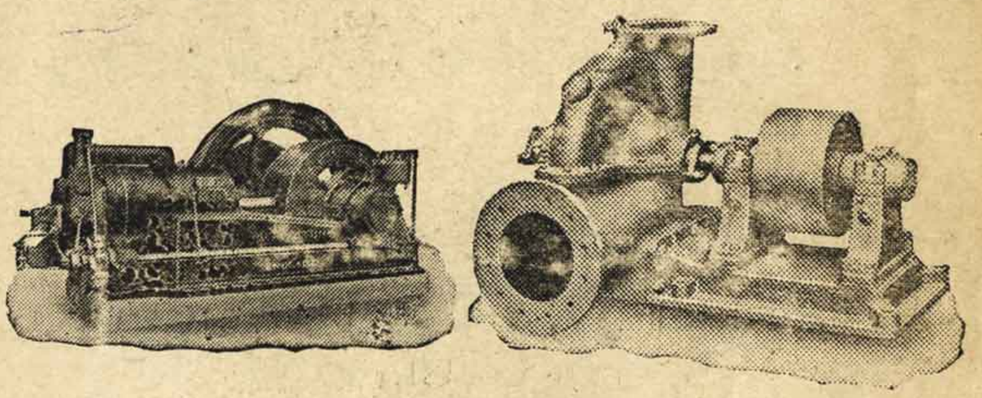

محرك بلاكستون ومضخة قاهرة دجلة

لا يحتاج لى اعلان لما اشتهر عنهما بين اكبر المزارعين فنحن لانريد الا ان تراجعنا للاطلاع على تفاصيل اخر مؤيدة بكثير من البراهين

محل جان بولص بحوشى اخوان

المجلد ١ العدد ٢

الحديث

صابر

مجلة شهرية غير سياسية

كانون الاول ١٩٢٧

نحن والمدنية الحديثة

— صرخة ثانية —

أذكر هذه الساعة وانا اكتب هذه السطور كلمة مرة قالها لي صاحب مجلة عراقية ، وكنت ارسلت اليه مقالا لينشره : « أعيد اليك مقالك معتذراً لأننا لم نستطع نشره على صفحات المجلة . وانت قد تعلم ان الوقت الملائم لنشر الفكرة التي جاءت فيه لم يأت بعد » .

وقد تناولت المقال منه وانا ذاهل . ورحت اتصفحه ، فاذا به مقالي العادي الذي كنت اعهده . وليس فيه الا تنبيه للغافلين ، ورأي في المكتبة القديمة وتعاليمها التي حاربها اليابانيون قبلنا نحن ابناء الشرق العربي ، واضحى يحاربها اليوم الناهضون في الصين وتركيا .

وهذه التعاليم التي تسد علينا ابواب التفكير والنظر في شؤون الحياة ، تدعونا الى القناعة مثلاً — فيما تدعونا اليه — . وقناعة الشعب بالقليل ان كانت تنفع فيما مضى فهي في هذا الزمن خلق سلبي ، وهي انكماش ، وهي